

## خلاصات إيرانية

## إيلي شلهوب

... أما وقد وضعت الأزمة الإيرانية أوزارها (ولو مؤقتاً)، فلا بد من مجموعة ملاحظات تتلمس حركة الربيع والخسارة، وتستعيد بعض السجل الذي رافق الانقسام بشأن نتائج انتخابات الرئاسة.

يبود واضحاً أن هذه المعركة انتهت إلى نصر لا لبس فيه لفريق نجاد المدعوم من خامنئي. المؤشر الأساس لهذا الفوز ما صدر عن رفسنجاني، عراب الفريق المنافس، من رفض لـ«الفتنة»، وتأكيد الولاء المطلق للمرشد. أراد رفسنجاني، ومن لف لفته، على ما بات جلياً، تأليف قوة موازية لخامنئي، تفرض بالحد الأدنى توازناً في السلطة، كخطوة أولية في طريق طويل يؤدي في نهاية المطاف إلى تقييد صلاحيات المرشد. ولهذه الغاية، وقع خياره على موسوي الذي يتمتع بمجموعة صفات تؤهله للقيام بهذا الدور: شخصية قوية وقدرة على تحدي المرشد. وغياب عن السلطة لأكثر من عقدين (سجل نظيف). وهو من الرعيل الأول للثورة (يتمتع بمشروعية تاريخية). غير أن حسابات الحقل لم تماثل حسابات البيدر.

ومع ذلك، فإن نجاد خرج من المعركة جريحاً. صحيح أنه فاز، بحسب النتائج الرسمية، بأكثر من 11 مليون صوت على منافسه الإصلاحي. لكنه سيبقى يواجه تشكيكاً بشرعيتها، في ظل عدم تسليم موسوي بالهزيمة وإصراره على أن الفوز قد سُرق منه.

أما النظام فلا شك في أن صورته، باعتباره نظاماً شفافاً تنتقل السلطة فيه بسلاسة، قد اهتزت، ومعها هالة المرشد، فضلاً عن أنه اضطر إلى استخدام قبضته الحديدية بشكلها الفجّ، إضافة إلى ما كشفته الأزمة الأخيرة من وجود انقسام أفقي في صفوفه. لكنه في المقابل نجح في الاختيار الأمي، إن من حيث تمكنه من جمع معلومات، قبل أشهر من يوم الاقتراع، عن السيناريو الذي طبقته المعارضة مع بدء فرز الأصوات (كشفها خامنئي في خطاب في 21 آذار). أو من حيث قدرته على جمع ملفات لقادة من المعارضة من غير الصف الأول في شأن اتصالاتهم بمؤسسات وأجهزة أجنبية. أو من حيث نجاحه في ضبط حركة الاحتجاج في الشوارع وإنهائها في خلال أيام. ولحسن حظه، ما جرى خلال الفترة الماضية أخرج خلايا المعارضة من مخابئها وكشفها كاملة أمام أجهزته الأمنية التي لا شك في أن الكثير من العمل ينتظرها على مدى الأسابيع والأشهر المقبلة.

وهنا لا بد من التأكيد أن ما حصل في إيران ما هو إلا معركة داخلية بين جناحين أساسيين من أجنحة النظام. صراع ضمن العائلة الواحدة. حتى المرشد أكد ذلك في خطبة الجمعة الشهيرة عندما تحدث عن أن جميع المرشحين تحت عباءة الثورة، خاصاً رفسنجاني بوصفه «أحد أعمدتها». تصريحات خامنئي لا بد من أنها جاءت رداً على المعادلة التي أرساها بعض السذج في ذلك الحين: كل من يؤيد نجاد مع الثورة، وكل من يعارضه معارٍ لها. وجه السذاجة في اعتبار رفسنجاني وموسوي وخامنئي وكروبي، الذين حكموا إيران (أو شاركوا في حكمها) لمدة 26 من أصل 30 عاماً من عمرها، معادين للثورة (لو أن الأمر كذلك، فيا حسرتاه على هذه الثورة).

بعض هؤلاء برروا تخوين فريق المعارضة برغبته في استئناس العلاقة الدبلوماسية مع أميركا والحوار مع الغرب والتهدئة مع إسرائيل. كان اصطفاهم المطلق خلف نجاد من دون الاستعداد حتى للاستماع إلى وجهة نظر الفريق الآخر تحت شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، رغم ما حملته هذه المقولة من ويلات على شعوبنا العربية. نسوا، أو تناسوا، أن إيران تبقى فارسية، بمعنى أن حساباتها مصلحية أكثر منها أيديولوجية، ويمكن أن تكون موضع خلاف بين الأجنحة المختلفة للنظام. لا يعني ذلك طبعاً أن فريق المعارضة لم يحو تيارات معادية للثورة استغلّت الموقف للاصطياد في الماء العكر وزرع المشاغيب، من أمثال «مجاهدي خلق». ولا يعني نفي وجود شخصيات بينها فتحت علاقات مع أجهزة استخبارات أجنبية طلباً للدعم والمساعدة.

الأهم من ذلك كله النظر في دلالات وقوف المرشد بهذه الصلابة إلى جانب نجاد. هناك عاملان أوجبا ذلك: الأول، أن السنوات الأربع الماضية كانت المرة الأولى التي يتمكن فيها خامنئي من الحكم في ظل رئيس بهذا القدر من المطاوعة. بعدما تشارك السلطة مع رفسنجاني وخامنئي خلال الأعوام الـ16 التي سبقت تولي نجاد السلطة. أما الثاني، فهو إدراكه مدى حساسية السنوات المقبلة لانحائية مستقبل إيران ونزعتها الإمبراطورية (التقديرات كلها تفيد بأن طهران قاب قوسين من امتلاك القدرة الكاملة على تصنيع القنبلة النووية). وبالتالي فإن من مصلحة خامنئي إبقاء الرئيس الطيّع هذا في الحكم؛ فهو غير مستعد، على ما يبدو، للسماح بنزاعات داخلية وخلافات في الرأي بين أركان السلطة تضيّع الفرصة، وخاصة في ظل سياسة اليد الممدودة التي يعتمدها باراك أوباما، واستعداد الفريق المعارض للملاقاتها.

التسوية التاريخية مع «الشيطان الأكبر» لا تزال خارج الحسابات الإيرانية، على المستوى الرسمي (موقف خامنئي)، وعلى المستوى الشعبي (شعبوية نجاد). «الله يستر».

## أسعد أبو خليك\*

## الثورة تشيخ

متابعة الحدث الإيراني كانت شائقة، في وسائل الإعلام العربيّة والغربيّة على حد سواء. الإعلام السعودي كان يصلح للإدراج في خانة البرامج الكوميديّة: ترى المذيع (اللبناني غالباً — ما حكاية الولاء اللبناني لنفط آل سعود؟ هي المبدئيّة، أم أنها عروبة اليوم الواحد التي عبّر عنها بطيريك أنطاكية؟) يصرخ في وجه الضيف الإيراني أو من ينتدبه: ولماذا لا تقوم إيران بإعادة الانتخاب وفق شروط حرّة وعادلة؟ آل سعود يصرون على انتخابات حرّة وعادلة... لكن في إيران فقط

في العالم العربي عندما تصبح الهمروجة الطائفية في لبنان «ثورة الأرز»؟ يحاول جون فوران في كتابه عن «تنظير الثورات»، وهو لم يترجم إلى العربية، أن ينسّق أصناف الثورات في العالم ويصل إلى خلاصة لا مناص منها: صعوبة الثورات في العالم النامي، وهو يعزو ذلك إلى عوامل مختلفة بما فيها التبعية التنموية والتدخل الخارجي وتشبّت المعارضة. والثورات تؤرّخ لمرحلة جديدة، أو لفصل قاطع مع النظام السابق، كما حلل «كربن برنتون» في كتابه المرجعي عن «تشرح الثورات»، مع أنه ركّز على ثورات أربع لا غير: الأميركية والبريطانية والفرنسية والروسية. المفكر الفرنسي الكسي دو توكفيل لا يأخذ بنظرية القطع الفاصل: لقد رأى في الثورة الفرنسية إكمالاً لتراث ملكي في تفعيل مركزيّة الدولة في عمادها. لكن الثورة الإيرانية حظيت باهتمام بالغ ليس فقط لتأثيرها الهائل على السياسة الدولية بل لندرة الثورة «الإسلامية»، مما يفسّر الإفراط في التحليل الثقافي - الديني للثورة على حساب الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هناك من السمات ما تشاطر به الثورة الإسلامية ثورات عالمية أخرى وهناك ما تختصّ به هي. ولعل سماتها الثورية الخاصة هي التي أوقعتها في المازق.

الثورة الإيرانية وعدت بقطع فاصل مع ماض لم تقطع معه بالكامل. لعل الأزمة العميقة التي يعانها النظام في إيران اليوم تنبع من مشاهد قمع التظاهرات السلمية: ذكرت بالتظاهرات ضد الشاه التي تراكمت لتحيله عاجزاً أمام تنامي الحركة الشعبية. والمعضلة التي تواجه النظام تكمن في حاجته للدفاع عن بقائه: كلما لجأ إلى القوة لفرض نفسه، تناقصت شرعيته الثورية وأضعفت قدرته التاريخية على الاستمرار في الحكم. طبعاً، يستطيع النظام أن يفرض نفسه بالقوة المفرطة وسفك الدماء المتزايد، لكنه يعجز عندها في الاعتماد على غير القوة للدفاع: أي أنه يفقد السلطة الحقيقية كلما استعان بالعنف، كما نظرت حنة أرندت من قبل. لهذا، فإن النظام أصيب بالارتباك. لم يعتد معارضة شعبية بهذا الحجم. واتهام الغرب بالتدخل - والغرب يتدخل في كل شؤون العالم الثالث، وحتى في تأليف اللوائح في اليمن - لا يفي بالغرض. النظام

سويسريتان من أصل إيراني خلال إحدى التظاهرات المناهضة للنظام الإيراني في زوريخ (أرشيف - أ ب)



استضاف برنامج «كلام (بعض) الناس» غسان سلامة (الذي اعتبر خطاب نتيناهو «خطوة إلى الأمام») للحديث عن إيران (ومواضيع أخرى منفردة، بما فيها نصائح لسعد الدين الحنيف الحريري في مونتري كارلو). وسلامة عليم بشؤون إيران لكنه حرّف تصريحاً لمحمد البرادعي فالبرادعي قال بالإنكليزية إن لديه «حداً» يقول إن إيران تسعى للحصول على سلاح نووي، إلا أن سلامة جعل من الكلمة الإنكليزية التي استعملها البرادعي «قناعة عميقة»، ما عليناً. خطأ في الترجمة بريء. وهوّن سلامة (الذي ساهم في إسباغ الشرعية الدولية على الاحتلال الأميركي للعراق) من شأن التدخل الأميركي في شؤون إيران عبر القول إن الكل يتدخل في شؤون الكل: أي أن معادلة التدخل تلغي التدخل المضاد. وعليه، فإن مقدار التدخل العراقي في الشؤون الأميركية يوازي مقدار التدخل الأميركي في الشؤون العراقية. وإعلام

## نظرية ولاية الفقيه لم تكن يوماً محل إجماع عند أئمة الشيعة

آل سعود يتعامل مع الحدث على أساس أن الشعب الإيراني لن يستكين قبل أن يلقي الأمير نايف بظلاله في إيران.

وروبرت فيسك أنتقل إلى إيران. لا ندري لماذا لا يزال البعض في العالم العربي يعول على فسك في تقاريره: فمذ اغتيال الحريري تحوّل الرجل إلى جهاز دعابة لآل الحريري ولجنابلاط، لا يختلف في توجهاته عن أصوات نشرة قريطم. والرجل قضى سنوات في الشرق الأوسط من دون أن يتعلم لغاته أو يحثك بغير النخبة: يستعين بمتترجمين ومُساعدين وسائقه «عبد» في لبنان. يهمل فيسك لثورات يعطف عليها حتى لو لم تستحق لقب «الثورة». وهو خلافاً لرصانة مراسلي «الإكونومست»، مثلاً، يستعين بالشائعات والخبريات إذا توافقت مع أهوائه. لكن فيسك حزم أمره: فريق الحريري الذي عرض عليه نقله بطائرته الخاصة بعد تعرّضه لاعتداء في باكستان قبل سنوات يستحقّ الوفاء.

إن تحليل الوضع الإيراني الملتهب يتطلب بعض التمعّن في نظريات الثورة: كيف تحدث الثورات ولماذا، ومتى تستنفد الثورة أغراضها؟ ومتى يكتشف الناس زيف شعارات الثورة ومتى يهجر المتفقون الثورة (الثورة الصينية عزلت هذا العامل عبر استبقائه في «الثورة الثقافية»؟) الثورة الإيرانية كانت واحدة من ثورات قليلة في العالم النامي (كوبا، المكسيك، الصين، ونيكاراغوا)، وخصوصاً في العالم العربي (وهي لفتحت د«ريح»ها عدداً كبيراً من المثقفين العرب). يمكن الحديث عن ثورات مناهضة للاستعمار أو عن ثورات فاشلة أو مضادة، لكن في العالم العربي عوض الاستسهال اللفظي لكلمة ثورة (وهي محببة، كما أخبرنا ميشال عفلق في مؤلفه الوحيد، مع أن المواطن يجهد لتلمس المحبّة في الأنظمة البعثية التي رعاها «الأستان») عن الثورة الحقيقية، وربما عن قصد لحماية الأنظمة من الثورات. ما معنى الثورة

مدير التحرير خالد صافية ■ سكرتير التحرير حسنة الزين ■ مجلس التحرير عربيات دوليات إيلي شلهوب، نقاشة بيار ابي صعب، مجتم صحن شمس، رياضة علي صفا، عدل عمر نشابة، سياسة فداء عيتاني، اقتصاد محمد زبيب ■ المدير الفني اميل منعم

رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول إبراهيم الامين ■ المكاتب بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759957 ■ ص.ب. 113/5963 ■ www.al-akhbar.com

الإعلانات Tree Ad 01/61115-03/252224 ■ التوزيع شركة اللواتك 01/666314-03/828381

## الزخار

تأسست عام 1953

تصدرت شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس جوزيف سماحة (2006-2007)

مستشار مجلس التحرير انسي الحاج